نظرية الحجاج اللغوي في الدرس المغاربي مطلع الألفية الثالثة -قراءة وصفية تطورية-

الدكتور عمر بوقمرة

Dr.bouguemra@gmail.com

حسيبة بن بو علي الشلف؛ كلية الآدب والفنون؛ قسم اللغة العربية، الشلف ، الجزائر

الملخص:

يجتهد هذا البحث في التعريف بنظرية الحجاج في اللغة في الدرس المغاربي المعاصر، فهي تمثل أحد أهم اتجاهات البلاغة الجديدة، التي لقيت حفاوة بالغة في الأقطار المغاربية؛ لأسباب سوف تتجلى من خلال البحث، بخلاف الأقطار المشرقية. وقد ظهرت هذه النظرية على يد اللساني الفرنسي: "أوزوالد ديكرو"؛ من خلال مؤلفه "الحجاج في اللغة" عام 1983م بمشاركة زميله "جون كلود أنسكومبر"، ولكنها لم تستنبت في المغرب العربي تنظيرا وتطبيقا إلا مع نهاية الألفية الثانية، ومطلع الألفية الثالثة، ومعالمها مازالت مبهمة عند كثير من الباحثين؛ فرغبت في تقريبها للباحثين من خلال تتبعها في بطون بعض المؤلفات المخطوطة(الرسائل والأطاريح الجامعية) والمطبوعة على قلتها، وحاجة البحث إليها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الحجاج، البلاغة، المغرب العربي، المشرق العربي.

Abstract:

This research aims to define the theory of argumentation in the language in the contemporary Maghreb lesson. It represents one of the most important trends of the new rhetoric, it was very important in the Maghreb countries; for reasons that will be detected through research, unlike the eastern countries. It had appeared from linguist Oswald Ducrot, and his friend Jean Cloud Anscombre Through their book: "The Argumentation in Language" in 1983, it was not appeared in the Arab Maghreb until the end of the second millennium and the beginning of the third millennium, And its principles are unclear to many researchers; so I hope to approach it to the researchers through tracking it from some written manuscripts and printed on the small, and the need to search for them.

Key words: Language, Argumentation, Rhetoric, Maghreb countries Eastern countries.

مقدمة:

قبل الشروع في لب البحث، أرى أنه لابد من التقديم بملاحظتين هامتين؛ تبرئان الباحث من السطحية؛ وتجنبانه الوقوع تحت حمرة وصفرة المساءلة المشروعة من قبل أي قارئ، وهاتان الملاحظتان هما:

1- البلاغة الجديدة، أو البلاغة المعاصرة بلاغات، وموضوع بحثنا هو بلاغة الحجاج اللغوي، وقد ترجح البحث فية لما أولي من عناية من قبل المغاربة –دون المشارقة– في مطلع الألفية الثالثة، فاقت توقعات بعض الباحثين، وقد وقفت على مقال لمحمد سالم ولد محمد الأمين نشر في مجلة عالم الفكر عام 2000م: يقول فيه: "يبدو هذا العنوان – الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة – مفارقا في صياغته (وهو كذلك)؛ لأن الحديث عن (بلاغة عربية معاصرة) أمر لا يزال طموحا، فعلى الرغم من تعدد المدارس اللغوية الغربية التي أسفرت بحوثها عن نتائج متميزة، إلا أننا لم نستفد بعد القدر اللازم لإعادة قراءة موروثنا البلاغي العربي الثري، وباستثناء بعض الجهود التي يقوم بها بالخصوص كل من

د.محمد مفتاح، د.صلاح فضل، د.حمادي صمود، د.جابر عصفور، د.لطفي عبد البديع، د.تمام حسان، د.سعد مصلوح .. لا نجد اهتماما ذا بال بهذا التراث".[1]

ولكن الأمر الآن تغيّر، ولاح الطموح في الأفق، وقائمة البحث في هذا المجال صارت مفتوحة، وطويلة و مثمرة، -خاصة في بلاد المغرب العربي- وقد أسفرت عن نتائج تطبيقية متميزة، وفي فترة زمنية وجيزة جدا، وإنا لنرجوا أن يحذو إخواننا في المشرق العربي السبيل ذاته.

2- المتتبع لكرونولوجيا الوعي العربي الحديث بتجديد البلاغة العربية؛ يُلفيه قد تجاوز سبعة عقود من الزمن؛ وذلك إذا سلمنا بأن البداية كانت مع أحمد الشايب من خلال كتابه: "الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية"، الصادر عن مكتبة النهضة عام 1939م، وما تلا ذلك من محاولات من قبل أعلام المدرسة المصرية، التي قادت حملة إحياء وتطوير العلوم العربية، ومنها البلاغة العربية؛ نظرا للظروف السياسية والثقافية التي حظيت بها دون بقية الأقطار العربية، وقد ذكر محمد سالم ولد محمد الأمين بعض أسماء هؤلاء الرواد في النقل السابق، وهم يتوزعون على المدرستين المصرية والمغاربية، وأقصد بالمغاربية هنا ذانك القطرين الرائدين في هذا المجال، وهما: تونس، والمغرب الأقصى، ثم يليهما بقية الأقطار المغاربية وعلى رأسها: الجزائر وموريتانيا، وما يجب أن يسجل هنا هو أن عمل المدرسة المصرية كان إحيائيا؛ إذ نجد تلك المحاولات "على اختلافها لا تركز على الخطاب البلاغي الجديد، كمشغل معاصر يمكن أن يستوعب مختلف المباحث البلاغية القديمة، ويقدمها في أسلوب جديد، وذلك بالاستفادة من فكرة التداخل المعرفي، التي تتجلى أبرز صورها في مباحث كل من بلاغة الخطاب، ثم علم النص، وما يتصل بهما، وينبثق عنهما من آليات تحليلية".[2]

وللإنصاف فقد كانت هناك إشارة نظرية قوية من قبل أحد رواد المدرسة المصرية؛ وهو صلاح فضل في كتابه: "بلاغة الخطاب وعلم النص"، الصادر عام 1992م، نوّه فيها ببلاغة الحجاج عند بيرلمان[3]، ويبدو أن المدرسة المصرية انقطع عطاؤها، وغلب عليه المنهج السلفي الإحيائي، ولم تحظ تلك الإشارة بمتابعات وردود فعل بحثية كافية لتجديد الدرس البلاغي العربي، والاستفادة من مستجدات البحوث البلاغية الغربية عموما، والحجاجية خصوصا؛ ولذلك لا تكاد تعثر على بحوث في بلاغة الحجاج من تأليف باحثين مصريين في يومنا هذا، بخلاف الأقطار المغاربية[4]؛ ومن ثم يمكن تصنيفها ضمن المدرسة البلاغية المشرقية، مع فضل التنبيه إلى ضرورة التجديد على الرغم من عدم الاهتداء إليه، فلهم أجر المجتهدين.

إن بسط أرقعة البحث على مرحلة زمنية تقارب قرنا من الزمان-1939-2017م-، تداولت عليه اتجاهات بحثية مختلفة، ورؤى فردية متنوعة، لهو من الصعوبة بمكان، بل يعد سقطة منهجية تفضي إلى نتائج سطحية، خاصة في بحث قصير كهذا؛ لذلك أجدني مجبرا على التصريح بالحدود الزمانية للبحث؛ وهي تلك الفترة الزمنية المبسوطة ما بين عامي 1998م و2017م، فبالرغم من قصرها فقد استطاعت نظرية بلاغة الحجاج اللغوي أن تبرز بشكل لافت في الدرس البلاغي المغاربي المعاصر، ما شكل بحق مدرسة مغاربية متكاملة، جمعت بين النظري والتطبيقي، أرى بأن لها ما بعدها في الدراسات البلاغية في قابل الأيام.

نظرية الحجاج في اللغة، المفهوم، والمثاقفة المغاربية:

1- المفهوم: نظرية الحجاج اللغوي هي نظرية لسانية حديثة للألسني الفرنسي أوزوالد ديكرو (O. Ducrot)، وأدعو القارئ هنا للتركيز معي على الصفة "اللغوي" فهي هنا قيد مانع من الاختلاط ببقية المقاربات الحجاجية، التي ليست لغوية، كالحجاج البلاغي، والحجاج المنطقي، وما يعنينا في هذا المقام المقاربة اللغوية (اللسانية)؛ التي تناولت الحجاج من وجهة نظر قولية تداولية، إذ بحثت عن الوظيفة الحجاجية للعبارة اللسانية.[5]

انبثقت نظرية ا الحجاج في للغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية لكل من أوستين، وسيرل، وهي نظرية تقدم تصورا جديدا للمعني من حيث طبيعته ومجاله، وهي تندرج ضمن تيار حديث في اللسانيات، ظهرت على يد الألسني الفرنسي "أوزوالد ديكرو "(O. Ducrot)، – بعد إضافته فعلين لغويين هما: **الاقتضاء، والحجاج–**، في كتابه "الحجاج في اللغة" (L'argumentation Dans La langue) عام 1983م، الذي ألفه بمشاركة زميله جون كلود أنسكومبر (Jean Cloud Anscombre)، مفادها أن اللغة تحمل في جوهرها بعدا حجاجيا، ومن ثَمَّ فهي لا ترى بأن الوظيفة الإبلاغية الإخبارية هي الوظيفة الأساس والوحيدة للغة، بل إن الوظيفة الحجاجية هي أهم وظائفها.[6] ومن الأخير (فعل الحجاج) انبثقت نظرية الحجاج في اللغة؛ وبناء عليه" فما الفعل الحجاجي إلا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي".[7]

فقد أثبت أوستن نوعا آخر من الجمل، وهي الإنشائية (الأدائية) إلى جانب الوصفية؛ ليتراجع لاحقا مؤكدا أنه إذا أنعمنا النظر ألفينا كل عبارة تامة تتضمن على الأقل فعلا لغويا واحدا من بين ثلاثة أضرب من الأعمال اللغوية، أولها: **العمل القولي**، ويتحقق بمجرد التلفظ بشيء ما، وثانيها: **العمل المتضمن في القول**، ويتحقق بقولنا شيئا ما، وثالثها: **هو عمل التأثير بالقول**، ويتحقق نتيجة قولنا شيئا ما؛ ومنه انتبه ديكرو إلى فعل الحجاج.

أسست هذه النظرية مفهوما جديدا للحجاج يختلف عن مفهوم بيرلمان وتيتيكا، يقوم أساسا على اللغة بخلاف مفهوم بيرلمان القائم على تقنيات وأساليب في الخطاب، تكون شبه منطقية، أو شكلية، أو رياضية، "فهي تفترض أن اللغة ليست لها بالأساس وظيفة التمثيل والوصف؛ والنتيجة النظرية المتولدة من ذلك هي أن القيمة المرجعية للأقوال ليست من الناحية الدلالية قيمة من درجة أولى، بل قيمة من درجة ثانية، وفي مقابل ذلك نجد أن القيم الحجاجية التي تعتبرها بصفة عامة آثارا للخطاب أو السياق التداولي، هي قيم من درجة أولى مسجلة في البنية اللغوية ذاتها لدى "أنسكومبر" و"دكرو"".[8]

وبعبارة أكثر وضوحا؛ اللغة تحمل وبصفة ذاتية جوهرية(Intrinscèque) وظيفة حجاجية، مؤشر لها في البنية اللغوية جملا وأقوالا، فهي موجودة في الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والتداولية؛[9] فأرسى بذلك مبدأ تداوليا فحواه: أن البعد الحجاجي سابق عن البعد الإخباري في الكلام، فكل كلام حسب هذه النظرية هو حجاجي بالقوة، قبل أن يقوم بدوره الإخباري الإعلامي، فالسمة الحجاجية منغرسة في اللغة أصالة؛ فهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وإمكاناتها الطبيعية الحجاجية، بعيدا عن المنطق الأرسطي وأحافيره الشكلية؛ وعليه فخلاصة علاقة اللغة بالحجاج

من هذا المنظور الحداثي هي:" **أن لا تواصل من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل**"؛ وذلك تجسيد لتلك الفكرة الشائعة التي مفادها " **أننا نتكلم عامة بقصد التأثير**"، كما يرى أبو بكر العزاوي.[10]

أ- نظرية الحجاج والتحول الوظيفي للغة من الإخبار إلى الحجاج:

اجتهد اللغويون في بحث الفروق بين هذين النمطين من المعنى، وخصّوهما بجملة من البحوث والدراسات؛ وقد خلصوا إلى أن هناك أنواعا مختلفة من المعنى الظاهر، نذكر منها: المعنى الحرفي، والمعنى البنيوي، والمعنى المعجمي، والمعنى الإخباري الإعلامي، وغيرها، وأنواعا من المعنى الضمني، نذكر منها: الاقتضاء، والاستلزام الدلالي، والتضمين، والمعنى الحجاجي، وغيرها، وقد ذهب العديد من الفلاسفة واللغويين قديما وحديثا إلى أن وظيفة اللغة الأساسية هي وصف الكون والإخبار عنه، قناعة منهم أن اللغة ليست سوى مجرد نظام من الرموز توظف أساسا في نقل المعلومة الواصفة للعالم، مرجئين المعاني الأخرى إلى مراتب هامشية ثانوية، وفي المقابل كانت هناك محاولات منذ القديم تستميت في التقليل من أهمية هذا التوجه، ومحاولة إبراز محدودية الجمل والأقوال التي لها وظيفة وصفية تمثيلية للعالم، وفي هذا الإطار تندرج نظرية الحجاج، إطار يمكن أن نسمية بالدلاليات غير الإعلامية أو غير الإخبارية (La sèmantique Informationnelle)، التي تعد المعنى الإخباري ثانويا وهامشيا بالنسبة للمعاني الأخرى.[11]

وهنا يجب أن ننوّه أن البلاغيين العرب القدماء بتقسيمهم اللفظ المفيد إلى خبر وإنشاء، كانوا يسبحون في فلك هذا التيار، بل كانوا رّوادا له، فقد" توصلوا إلى وضع معايير علمية متفاوتة الدقة، مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والإنشاء، وأن آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها، هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار" **القصد**"، ومعيار "**إيجاد النسبة الخارجية**"؛ وقد تمخض عن هذين المعيارين خصوصا تعريف دقيق لكل من الخبر والإنشاء، وأن الأول من هذين معيار تداولي، والثاني منهما معيار منطقي".[12]

فنظرية الحجاج لديكرو ومن وقبلها نظرية الأعمال اللغوية لأوستين وسيرل، ومن قبلهم البلاغيون العرب(في تفريقهم بين الخبر والإنشاء) تشكل تيارا تداوليا يعارض تيار الدلالة المنطقية القائم على تصور خطي تتابعي تراتبي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول، " فدراسة اللغة سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ترتكز حسب هذا التصور على مراحل ثلاث: يعنى التركيب في أولها بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد "نحويتها"، وتعنى الدلالة بالعلاقة بين العلامات ومراجعها، والحكم على الجملة بالصدق أو الكذب، انطلاقا من ضبط مدى استيفائها لشروط الصدق، ويعنى التداول أخيرا باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدي مناسبتها للمقام، أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق هل تجيز ظروف التخاطب إنجازه؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول"؛[13] إذن هناك صنفان من الخطاب اللغوي يهدف أحدهما إلى نقل المعلومة كما هي دون زيادة أو نقصان بدءا بالأحداث الحقيرة إلى الأحداث الجليلة، ويدخل فيه الأخبار اليومية والنظريات العلمية، حيث يلعب فيها المرسل دور الصحفي أو الراوي، ويشترط فيه الصدق والموضوعية، مكتفيا في ذلك بنقل المعلومة الخبر إلى المتلقي لتفهم وتعلم فقط.

أما ثانيهما فيتجاوز به صاحبه الفهم إلى غاية أبعد ألا وهي إقناع المتلقي بمحتوى خطابه، ومن ثم صدقها الذي غالبا ما يترجم إلى سلوكات عملية بالفعل، أو الكف، والترك. إنهما (ديكرو وأنسكومبر)يرفضان المبدأ القائل: إن اللسان

يستخدم للتواصل بالمعنى الضيق للعبارة، أي لنقل المعلومة أو الخبر. "إننا نريد أن نصل إلى القول إن الإخبارية في الواقع تعد من درجة ثانية بالمقارنة مع الحجاجية، فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إلا قِناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر".[14]

لقد بيّنا أن" اللغة حجاجية في ذاتها أي أنها لا تحمل فقط معلومات وتعبيرا، ولكنها تحتوي في نفسها، وبصرف النظر عن استعمالها في السياق على عناصر حجاجية بحتة ".[15] فالملفوظات إذن تتضمن قضية حجاجية ليست مضافة أو دخيلة، ولكنها كامنة في اللغة بوصفها عمادا لكل دلالة، وعليه فالحجاج لم يعد نشاطا لسانيا ثانويا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى عينه، وأساس تأويل الخطاب؛[16] ومع العوامل التداولية الخارجية تشتد الظاهرة وتتقوى، " فالحجج لا تنبني في فراغ ولا تصاغ في مجال معزول، أو سياق منفصل عن شروط تكوُّنه وسيرورته".[17] إن اللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند أوزوالد ديكرو وسيلة للسجال بين الذوات البشرية، والحجاج جوهرها بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة.[18]

ب- التوجيه جوهر نظرية الحجاج في اللغة: تجدر الإشارة هنا إلى أهم مفهوم في نظرية ديكرو وزميله الحجاجية وهو التوجيه (L'orientation)؛ إذ حصرا فيه غاية الحجاج ووظيفته، فحينما نقول لشخص ما: إن هذا الفندق مريح، وتتوفر فيه جميع وسائل الراحة، فنحن لا نريد إخباره بذلك بقدر ما ندعوه إلى زيارته، فنحن جهدنا أنفسنا في توجيهه إلى استنتاج أن إقامته بهذا الفندق سيكون لها الأثر الإيجابي عليه، ومن ثم فهي دعوة للإقامة بهذا الفندق، فالإخبارية إذن ثانوية بالنسبة للوظيفة الحجاجية.[19]

لاحظ ديكرو أن بعض الأقوال اللغوية المتوالية تشكل "تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى...متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها".[20]

إن منطق اللغة "يعني وجود طابع استدلالي في بنية اللغة الطبيعية، ووجود علاقات استنباطية بين مكوناتها دون اللجوء إلى اصطناع هذه المكونات، أو صورنتها"،[21] وهذا ما أكده ديكرو حين قال: "توجد بين بعض ملفوظات اللغة الطبيعية علاقات حتمية، حيث إننا عندما نقبل هذه الملفوظات؛ نكون مجبرين على تقبل بعضها الآخر".[22]

إذن هذه التوجيهات الحجاجية (Orientations Argumentatives) هي التي تسمح باتباع ملفوظ معين لملفوظ آخر، وتمنع متابعته بملفوظات أخرى، أي أنها ترجع نتيجة معينة دون غيرها من النتائج، التي قد تكون مصرحا بها، أو متضمنة في القول، أو قل إنها التي تتحكم في بنية منطق اللغة بناء وسيرورة، ونتيجة؛ أي من خلالها تتحدد غايات الخطاب الحجاجي التي يسعى لفرضها على المخاطب، كنتيجة حتمية ووحيدة؛ ومن هذا المنطلق تتعاظم سلطة الخطاب الحجاجي بسده كل الطرق أمام أي حجاج مضاد؛ من شأنه أن يبطل ذلك التوجيه الحجاجي أو أن يضعفه.[23]

و جملة القول أن نظرية الحجاج في اللغة عندهما تقوم على ثلاثة أسس وهي:

1- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

2- المكون الحجاجي في المعنى أساسي، والمكون الإخباري ثانوي.

3- عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات.[24]

المثاقفة المغاربية:

طه عبد الرحمن يحوم حول الحمى: هناك مثاقفات حجاجية مغاربية لن نعرج عليها؛ لأنها تخرج عن الحيز الزمني الذي ألزمنا به أنفسنا في هذا البحث، وتخرج أيضا عن الاتجاه الحجاجي الذي أرغناه بالبحث، ولكن لابأس من الإشارة اقتضابا إلى جهود الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن؛ الذي ألف كتابين أشار فيهما إلى بلاغة الحجاج، وهما:

أ - **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام:** من إصدار المركز الثقافي العربي عام 1986م، أثبت في أحد مباحثه الصفة الحجاجية لكل خطاب طبيعي؛ حيث يقول: "حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيا لا برهانيا صناعيا، وحدّ الحجاج أنه فعَّالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأنَّ طَابَعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي".[25] وعموما فقد حاول في هذا المؤَلف "إيجاد رابط منطقي لغوي ليطوِّعه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق، وسلاسة اللغة".[26]

ب_ **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:** الصادر عن المركز الثقافي العربي عام 1998م: عقد فيه بابا سمَّاه "الخطاب والحجاج" قسمه إلى مدخل وأربعة فصول، وقد جاءت فصوله على شكل دعاوى ثلاث سعى لإثباتها؛ وهي:

1 - أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية، فلا كلام بغير خطاب، وقد تضمن الفصل الأول إثباتا عاما لذلك.

2 - الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية؛ بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج، وتضمن الفصل الثاني والثالث إثبات ذلك.

3 - الأصل في تكوثر الحجاج هو صفته المجازية، وهذا ما أثبته في الفصل الرابع.[27]

وقد وصف أحد الباحثين المحدثين صنيع طه عبد الرحمن في هذا الباب (الباب الثاني) فقال: "استعرض فيه أنواع الحجج وأصناف الحجاج، وركَّز على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، إذ أفرد له فصلا خاصا بالرغم من أنه عرض له في أكثر من عمل سبق عمله هذا، إلا أن ما يميز عرضه له هنا هو توسيعه له مع حسن تبويبه وربطه بما لدى الأصوليين من قياس التمثيل وترتيب الأحكام، ولم يقف عند هذا الحد، بل ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني".[28]

إن المتفحص لجهود طه عبد الرحمن يجدها قد اكتست طابعا فلسفيا نظريا، طغا على الجانب اللغوي؛ ما أفقده بريقه، وإن كنا لانشك في أثره على من بعده، يضاف إلى ذلك عدم تبنيه لنظرية معلومة الأركان، وتطبيقها على مدونة معينة، فقد كانه شغله القراءة النقدية للنظريات الغربية، ثم صياغة نظرية عربية حديثة أصيلة، ووضع المصطلح العربي

المقابل مراعيا فيه الشمولية، وجريان الاستعمال، والبساطة، والمباينة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛[29] ومع ذلك نشهد له بالإشارة إلى حجاجية الخطاب الطبيعي بقوله: "حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجيا لا برهانيا صناعيا"، وهو جوهر نظرية الحجاج في اللغة كما رأينا آنفا، إلا أن عدم إرداف ذلك بعمل تطبيقي متكامل حبسه عند تلك الحدود.

قصة الدكتوراه المخطوطة لعبد الله صولة: إن التحول الحقيقي والانصراف المغاربي المثمر إلى الحجاج ونظرياته المختلفة، كان مع فريق البحث التونسي، الذي وجد أصلا لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية، وكان من نتاجه كتاب "**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**"[30]، الصادر عن جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس عام 1998م، تحت إشراف حمادي صمود، وكان من ضمن فريق البحث المشارك في هذا المؤلف الباحث عبد الله صولة ببحث عنوانه: "**الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج لبيرلمان وتيتكا لعبد الله صولة**، ظهر هذا المصنف لأول مرة عام 1958م، ثم أعيد طبعه مرات عديدة، وهو عمل مشترك بين (بيرلمان) و(تيتيكا)، تتبعا فيه جماع تصانيف المؤلفين وزبدة أبحاثهما المبثوثة في المقالات والكتب، وهو أكثر الكتب إلماما بقضية الحجاج، وقد بحث فيه عبد الله صولة مسائل ثلاث، وهي:

1 – أطر الحجاج: وهي حدُّه وتعريفه موضوعا وغاية، فحصرا موضوع الحجاج في "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم".[31] أما الغاية منه فـ "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفِّق في جعل حدَّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه، أو الإمساك عنه، أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".[32]

2 – منطلقاته: ومدارها على المقدمات التي تؤخذ كمسلمات يؤمن بها الجمهور، واصطفاء هذه المقدمات وترتيبها له في حد ذاته قيمة حجاجية، والمقصود بالمقدمات هنا هي تلك المتعلقة بقضايا منها يكون الانطلاق، فهي نقطة بداية عملية الاستدلال.[33]

3 – التقنيات الحجاجية: ويراد بها الطرائق الحجاجية، وقد ذكر منظِّرو الحجاج أن انتظام الحجج يتم وفق طريقتين من طرائق الربط، هما: طرائق الوصل، وطرائف الفصل، ويراد بالأولى "الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها، أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة، أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر تقويما إيجابيا أوسلبيا".[34]

ويراد بالثانية "التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة، وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلا لا يتجزأ، أو على الأقّل كلاّ متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد، فوِفق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكوِّنة له".[35] وتحت كل واحدة من هاتين الطريقتين تنضوي جملة من التقنيات الحجاجية.[36]

والطريف في الأمر أن عبد الله صولة كان قد ناقش قبل هذا التاريخ-1998م- رسالة دكتوراه بسنة واحدة-1997م-، عنوانها: "**الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لـ عبد الله صولة**"، بكلية الآداب، منوبة، تونس، وتحت إشراف حمادي صمود(رئيس فريق البحث)، وبعد أربع سنوات (2001م) ظهرت في طبعة تونسية خالصة في جزأين[37]، ثم انتظرت خمس سنوات أخرى (2006م)؛ لتطير في آفاق العالم العربي عبر طبعة مشتركة بين دار الفارابي بيروت، وبين مكتبة المعرفة تونس، كلية الآداب، منوبة، تونس، وتقع في مجلد واحد قوامه 647 صفحة.[38]

وليستبين صنيع صولة في هذ المؤلف نورد خطة تقسيم البحث فيه، وهي كالتالي:

* **مقدمة:** تناول فيها بالتعريف بعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث، قناعة منه أن إشكالية البحث كامنة فيه، وهذا ما أملى عليه التمهيد لمسألتين أولاهما أكثر أهمية من الأخرى لجِدة البحث فيها.

أولاهما: ما الحجاج؟ وكيف يمكن أن يكون منه شيء في القرآن الكريم؟ بعدِّه كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين، بلسان عربي مبين، المحفوظ في الصدور، المتلو في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر.

ثنتاهما: ما المقصود بالخصائص والميزات الأسلوبية التي نروم كشف ورصد بعدها الحجاجي في القرآن الكريم، دون بقية ما فيه من مظاهر لغوية، وقصصية، وتشريعية؟[39]

* **الباب الأول:** المعجم القرآني، خصائص كلماته وحركتها الحجاجية.
* **الباب الثاني:** التركيب في القرآن، خصائصه ووجوه الحجاج فيه.
* **الباب الثالث:** الصورة في القرآن وأبعادها الحجاجية.

فهو أول محاولة، وأجرؤها، وأوسعها؛ أولها لأنني لم أطلع على محاولة قبل هذا التاريخ، وأجرؤها لأنها أول محاولة اتخذت القرآن الكريم مجالا للدرس حجاجيا، وأوسعها لأنها جمعت بين النظري والتطبيقي، بل غلب التطبيقي على البحث، ولأنها أيضا – وهذا أهم- بحثت الحجاج على المستوى الإفرادي، والتركيبي، والتصويري، وبشيء من التفصيل كما هو مبين في خطة الكتاب؛ فمهد بذلك السبيل لمن بعدة؛ وحاز بذلك قصب السبق في هذا المضمار، خاصة وقد اشتغل على نص مقدس، فما دونه كان أهون وأسهل.

أبو بكر العزاوي وادّعاء السبق: وإذا انتقلنا إلى القطر المجاور لتونس؛ وهو المغرب الأقصى؛ وجدنا ثلة من الباحثين يهتمون بموضوع الحجاج في اللغة، وعلى رأسهم نجد **أبابكر العزاوي**، وقد وقع الاجتباء عليه دون غيره؛ لما له من قدم بحث في هذا المجال فهو تلميذ لأوزوالد ديكرو صاحب نظرية الحجاج في اللغة، ولنفسح له المجال ليعبر عن علاقته به فيقول:" ترجع علاقتي بالحجاج إلى سنة1984م، حيث سجلت أطروحتي الأولى لنيل شهادة الدكتوراه الفرنسية حول موضوع الروابط الحجاجية العربية، تحت إشراف الأستاذ أزفالد ديكرو(O. ducrot)، أي بعد صدور المؤلَّف المهم(الحجاج في اللغة)؛ الذي ألفه ديكرو بمعية طالبه ورفيقه جان كلود أنسكومبر بسنة واحدة، ذلك أن الكتاب صدرسنة1983م... ولم أجد – حسب علمي- باحثا واحدا يهتم بالحجاج والمنطق الطبيعي بشكل رسمي في العالم العربي برمته غير باحث واحد، هو الفيلسوف والمنطقي المغربي طه عبد الرحمن".[40]

وقد ناقش أطروحته الأولى عام 1990م، ثم شرع في دكتوراه ثانية تحت عنوان: "**الحجاج في اللغة العربية: دراسة في المنطق اللغوي**"، ونوقشت عام 2003م،[41] ولكن لحد الساعة –وفي حدود علمي– لم تنشر هاتان الأطروحتان، ولكن يبدو أن بعض مؤلفاته الصغيرة الحجم، الكبيرة الفائدة في هذا المجال، مستلة من تانك الأطروحتين، وقد أفدت ذلك من مقدمة الطبعة الثانية من كتابه "**اللغة والحجاج**"، إذ يقول فيها منوها بقيمته:" لقد نفدت نسخ الطبعة الأولى(2006م) من الكتاب في بضعة أشهر، بالرغم من أنه لم يوزع في المشرق العربي، وفي المغرب لم يوزع إلا في ثلاث مدن فقط هي الدار البيضاء والرباط وبني ملال...إنه أول كتاب يصدر في العالم العربي، باللغة العربية، ويخصص بكامله للحجاج اللغوي عامة، وللحجاج في اللغة العربية بصفة خاصة، وقد تأخر صدوره منذ عشرين سنة".[42]

وللباحث كتاب آخر عنوانه :"**الخطاب والحجاج**" من إصدار دار الأحمدية للنشر، سنة2007م، وهو امتداد لكتاب "اللغة والحجاج"، الذي خصص لدراسة العلاقة بين اللغة والحجاج، ووصف بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية.[43] و لو جُمِعا في مؤلف واحد لكان الأول بابا نظريا، والثاني بابا تطبيقيا حلل فيه حجاجيا نماذج من الخطاب القرآني(سورة الأعلى)، ومن الخطاب الشعري، ومن الخطاب المثَلي، ومن الخطاب الإشهاري.[44]

ويبدو جليا من أقوال العزاوي الصريحة أن بحوثه كانت إشارة البدء في هذا المجال اللغوي الحيوي، فهو تلميذ صاحب نظرية الحجاج في اللغة اللساني الفرنسي "ديكرو"، الذي أشرف علية في أطروحة الدكتوراه، وهذا أمر تاريخي لا يناقش، ولكن تنتابنا الحيرة عندما نقارن ذلك بعمل عبد الله صولة، الذي نوقش كأطروحة دكتوراه عام 1997م، فهو سابق لكتاب اللغة والحجاج بتسعة أعوام(صدرت الطبعة الأولى منه في 2006م)، ثم طبع قبله في طبعة تونسية بخمسة أعوام (2001م)، ثم طار في العالم العربي في طبعة جديدة بعد خمسة أعوام أخرى(2006م)، ثم هو يشتغل على مدونة قرآنية كاملة، بخلاف عمل العزاوي في كتابه "الخطاب والحجاج" الذي اقتصر على نماذج من خطابات مختلفة، ما يجعل دعوى العزاوي تحتاج إلى بينة تشد من أزرها، والقضية تحتاج إلى مزيد تدقيق وبحث ومقابلة، وإن كان صولة قد أفضى إلى ربه، فلعل في مقابلة العزاوي إضافة لمسألة البحث، وعلى كل فإن التنافس والغبطة في العلم يزكيّانه وينميّانه، وقد أفاد البحث والباحثون من كليهما، وإن كنت أرى أن صنيع صولة أوقع في البحث، وإن كان عمل العزاوي أسبق في الزمن، وفي كل خير، ومن هاتين المدرستين المغربية والتونسية؛[45] وعلى نهجهما سار الباحثون في مختلف الأقطار المغاربية.

سامية الدريدي تقتحم الخطاب الشعري: وبالفعل فقد ظهر بعد عامين من انتشار عمل عبد الله صولة في العالم العربي، وصدور الطبعة الأولى من مؤلف العزاوي "اللغة والحجاج"، ظهر مؤلف آخر في الحجاج أيضا يشتغل على النصوص الشعرية العربية القديمة، عنوانه: "**الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه**" للباحثة **سامية الدريدي**، وهي باحثة تونسية، وأستاذة الأدب العربي القديم بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 9 أفريل، قسم العربية بتونس، صدرت الطبعة الأولى للكتاب عام 2008م من نشر دارَيْ عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع.[46]

فبعد أن مهدت للبحث بمقدمة نظرية في مصطلح الحجاج في اللغة، حاولت إثبات جذوة الحجاج في الشعر العربي القديم، وقد أوردت أمثلة لذلك، والشاهد من الكتاب على مانحن فيه هو الباب الأول من الجزء الثاني من الكتاب

والموسوم بـ:"**أفانين الإقناع أو روافد الحجاج**"، والمراد بذلك وسائل أو تقنيات الحجاج اللغوية والبلاغية، كون النص الحجاجي يبنى بناء تفاعليا؛ مدعوما بأدوات وآليات ووسائل، توظف لغرض الإقناع والتأثير".[47] وقد سبرت سامية بعض الأساليب اللغوية حجاجيا منها: الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر والنهي، والضمير المجهول، والتكرار وغيرها.[48] وبعد سنة(2009م)، صدر للباحثة نفسها كتاب آخر في الحجاج وسم بـ "**دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم**"، وهو لا يبعد كثيرا عن سابقه، إلا أنها جمعت فيه بين نصوص شعرية وأخرى نثرية من الأدب العربي القديم(خطب، ونصوص، ورسائل).[49]

وقد تأملت مكتبة بحث هذا الكتاب(**الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه**)؛ فألفيتها قد ذكرت فيه أطروحة عبد الله صولة التي نوقشت عام1997م، ولم تذكر طبعته الأولى(2001م)، ولا الثانية(2006م)، فلست أدري أطلبا لعلو السند، أم لغاية في نفسها؟ لأنه في تقديرنا يبعد أن يشتهر الكتاب في العالم العربي، ويعزب عن باحث متخصص في تونس؛ مطبع الكتاب، ومسقط رأسها، كما أنها ذكرت مقالا لأبي بكر العزاوي؛ عنوانه: "نحو مقاربة حجاجية للاستعارة"، المنشور في مجلة المناظرة، العدد الرابع، ماي 1991م[50]، وأغفلت كتابه " اللغة والحجاج"، والظن الراجح أنه لم يبلغها؛ لأن الطبعة الأولى منه كانت عام 2006م، وقد صرح صاحبه بأنها لم توزع إلا في ثلاث مدن فقط هي: الدار البيضاء، والرباط، وبني ملال.

وإذا انتقلنا إلى الجزائر، وهو القطر الثالث (في تقديرنا) من حيث الاشتغال بنظرية الحجاج في اللغة وتطبيقات على الخطابات العربية المختلفة، عثرنا على جملة من الأعمال التي تعد من بواكير البحث في هذا المجال؛ فمن ذلك رسالة دكتوراه للباحث **خليفة بوجادي**؛ بعنوان:" **خصائص التركيب اللغوي في (بوابات النور) للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي– دراسة في الوظيفة التداولية**" نوقشت عام 2006م بجامعة قسنطينة، وكان مما خبره وجربه في هذه الأطروحة حجاجية التركيب اللغوي من خلال المدونة الشعرية المدروسة.[51]

وبعد عام من هذا التاريخ (2007م) ناقش الباحث **عمر بوقمرة** بجامعة فرحات عباس بسطيف رسالة ما جستير؛ بعنوان:" **الحجاج عند الجرجاني من خلال دلائل الإعجاز**"، ولئن كان العنوان يشي ببحث عام في الحجاج بكل اتجاهاته ومدارسه، فإن الوالج فيه ليجده بحثا في الحجاج اللغوي الصرف؛ وأمارة ذلك الفصل الثالث من الرسالة الذي حوى مباحث من قبيل؛ التكرار، والتوكيد، والالتفات، والمبني للمجهول.[52] وهي مباحث لغوية كما ترى، وقد نشرت بتوفيق من الله.[53]

وقد استهوى البحث **عمر بوقمرة** في هذا المجال؛ فأعاد الكرة في أطروحة الدكتوراه التي جاءت بعنوان:" **الحجاج اللغوي في القرآن الكريم –سورة هود أنموذجا–**"، وقد نوقشت عام 2013/2012م بجامعة البليدة، وفي هذه المرة تلاءم العنوان والمضمون؛ إذ أفرد الباب الثاني من الأطروحة برمته لتطبيق نظرية الحجاج في اللغة على مباحث لغوية بلاغية بشيء من البسط والتفصيل، ولكن وللأسف لم تجد طريقها إلا النشر بعد، ولعلها قاب قوسين بل أدنى بتوفيق من الله وحده.[54]

وإذا أعدنا كرة كرونولوجية إلى عام 2006م؛ ألفينا رسالة ماجستير للباحثة **خديجة محفوظي** بعنوان:" **بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**"، نوقشت بجامعة قسنطينة، وهي كما هو بين من عنوانها اجتهدت في مقاربة نظرية الحجاج اللغوي على بعض الخطب الأموية، وهي: خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل العراق، وخطبة أبي حمزة الخارجي في أهل المدينة، وخطبة عبد الله بن عباس يرد فيها على عبد الله بن الزبير، وقد عاب أهل المدينة، وخطبة عبد الله بن الزبير في قتل أخيه، فهو تحليل حجاجي لساني بالدرجة الأولى لبنية الملفوظ، على نهج ديكرو صاحب نظرية الحجاج في اللغة.[55]

كما وقفت على بحث آخر قدِّم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية بجامعة باتنة، وسم بـ:" **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**"، من إعداد الباحث **حسين بو بلوطة**، نوقش عام 2010/2009م، قارب فيه المدونة المذكورة من وجهتي الحجاج البلاغية واللغوية؛ إذ خصص لكل منهما فصلاح فاستحق بذلك الذكر والتنويه.[56]

تلك بعض المؤلفات التي حضرتني في هذه السانحة القصيرة، وإني لموقن أن ما عزب عني من مؤلفات في هذا المجال لذو بال، ولست أدعي الحصر والاستقصاء، ولن أكون مبالغا إذا قلت: لو قدر لباحث ما أن يقف على ما كتب في الجامعات الجزائرية في هذا المضمار؛ من بحوث ودراسات لما خلت جامعة من شيء من ذلك؛ خاصة المخطوط منها؛ من مذكرات الماستر، والماجستير، وحتى أطاريح الدكتوراه، ويكفي دلالة على ذلك أن هذه العناوين التي ذكرتها كلها غير مطبوعة؛ ما يجلها عسيرة المنال.

ولإخواننا في موريتانيا جهود تشكر في هذا الميدان؛ منهم الباحث **محمد سالم محمد الأمين الطلبة**، فقد نشر مقالا عنوانه: "**مفهوم الحجاج عند " بيرلمان " وتطوره في البلاغة المعاصرة**" بمجلة عالم الفكر، عام 2000م[57]، وفي عام 2008م صدر له كتاب بعنوان: "**الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر**"،[58] أفرد الباب الثالث منه للوعي العربي بالبلاغة المعاصرة،[59] وهو عبارة عن دراسة تطورية لمراحل الوعي العربي بالبلاغة المعاصرة (الحجاج)، وكنت أتوقع من خلال قوله:" وقد ساهم هذا الحجاج اللغوي في نفي الغرابة، ومنح الألفة للعديد من الخصائص اللسانية التي كانت حتى وقت قريب منغلقة في دائرتها، ضمن السياقات التركيبية الجافة...".[60]

أقول كنت أتوقع أن يتوزع البحث على اتجاهي البلاغة واللغة، ولكن ما إن استوعبت المحتوى حتى أدركت أن البحث وقف به في المدرسة المغربية عند محمد العمري، وفي المدرسة التونسية عند حمادي صمود[61]؛ مهملا بذلك أهم عَلَمين من أعلام مدرسة الحجاج اللغوي، وهما: أبو بكر العزاوي بالنسبة للمغرب، وعبد الله صولة بالنسبة لتونس؛ فجاءت الدراسة خِدَاجا؛ خاصة وأن مؤلفيهما كانا قد نشرا في العالم العربي كله.

المشارقة والمقاربات المحتشمة: في المشرق العربي هناك أعمال بسيطة وإشارات ضعيفة في هذا المجال، فقد غلب على دراساتهم الطابع التراثي، وقد وقعت يدي على كتابين أشارا إلى الحجاج عموما؛ أولهما: "**إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**"، للمولف: عبد الهادي بن ظافر الشهري، الصادر عام 2004م عن دار كتاب الجديد المتحدة، وكما هو واضح من العنوان أنه يشتغل على الدرس اللساني التداولي، ولكن لما كان الحجاج مبحثا من مباحث

التداولية، عقد فصلا سماه: " "إستراتيجية الإقناع"، تطرق فيه إلى إستراتيجية الإقناع بالحجاج بالقرآن، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي، ثم انتقل إلى الدراسات المعاصرة؛ فذكر عمل ديكرو، وعمل فريق البحث التونسي سابق الذكر، وأشاد بجهود العزاوي من خلال المقالات التي كتبها في هذا المجال؛ ما يؤكد مشيخة المغاربة في هذا المجال.[62]

أما ثاني الكتابين فهو عبارة عن ترجمة لكتاب: **"تاريخ نظريات الحجاج" للمؤلفين:" فيليب بروتون"، و" جيل جوتييه"** ، من قبل الباحث السعودى: **"محمد صالح ناحي الغامدي"** الصادر عن جامعة الملك عبد العزيز عام 2011م، وقد أشار في مقدمته إلى إهمالهما لنظرية الحجاج لديكرو وأنسكومبر، وهي نظرية حجاجية لغوية خالصة، ثم اعتذر لهما كون ديكرو يقدم نظريته في سياق لغوي معارض للحجاج البلاغي،[63] وربما هناك محاولات أخرى خفيت علينا في بعض الأقطار المشرقية الأخرى.

الخاتمة: أعترف بصعوبة البحث في القضايا المعاصرة التي لم تنضج بعد، فإن بعضها يحتاج إلى خرجات ميدانية، ومقابلات شفهية، ترجح المتكافئ من المسائل، وتضيء الجوانب المظلمة فيها، ثم إن الباحث –يقينا– لا يستطيع الإلمام بكل ما قيل وكتب فيها، ولو قدر له الإحاطة بها لرجح المرجوح، وقدم المتأخر، ولكن حسبنا الاجتهاد، والإدلاج، فإن أصبنا فذلك ما نبغي، وإن زللنا فحسبنا الأجر الواحد، ومغفرة الاعوجاج، فكم من بحث مهم طواه النشر، وقد رأينا كيف أن عمل صولة لم ير النور إلا بعد سنين عددا، ورأينا كيف أن أطروحتَي العزاوي لم تنشرا في الورى؛ على الرغم من تقدمهما في الزمن، وكذلك عمل خليفة بوجادي، وعمر بوقمرة، وغيرهما؛ ولذلك أقدم اعتذاراتي لكل من له قدم مشاركة في هذا المجال بمؤلف أو مقال، طواه عني النشر أو التقصير، بل يكاد يجزم الباحث أن كل من كتب في التداولية قد أشار للأفعال الكلامية، والحجاج كمبحثين رئيسين فيها، وفي ذلك مشاركة ولو من بعيد، ولكن عذرنا ما أشرنا إلية في صدر البحث من حدود زمانية(1998/2017م)، وحدود موضوعية(الحجاج اللغوي)؛ ترفع عنا الحرج، وإن كنا نعترف بالتقصير فيها.

وما يمكن توكيده هو أن الحجاج اللغوي، أو بلاغة الحجاج اللغوي، كنظرية غربية معاصرة، قد أعطت زخما تطبيقيا في مجال تحليل النصوص على اختلافها، وهي آخذة في الرَّبَاوة؛ وما ذاك إلا لأنها وجدت لها جذورا في الدرس العربي القديم، وما يؤسف له هو أن جدة البحث، و صعوبة النشر حالتا دون الانتفاع الكامل بهذه البحوث.

أما فيما يخص سبق المدرسة المغاربية للمشارقة، فهو أمر واقع ماله من دافع؛ وعليه فلن ننشغل إلا بالأسباب الكامنة وراء هذ الاختلال، وأولها أن نظرية الحجاج اللغوي الصرف هي للفرنسي ديكرو، ومعلوم تمكن المغاربة من اللسان الفرنسي، وقربهم منهم لسبب تاريخي استعماري، بخلاف المشارقة المتمكنين في اللسان الإنجليزي، وقربهم منهم لسبب تاريخي استعماري، وبئس السببين –حتى لا يفخر أحد على أحد–، يضاف إلى ذلك سبب آخر وهو ديني صرف، متمثلا في حرص المشارقة –ومعهم معظم المغاربة– على البلاغة العربية بصورتها القديمة؛ فهم لا يؤمنون إلا بالتجديد الذاتي الداخلي، كما أني أحبذ عدم التفريق بين الأقطار المغاربية، وجعل كل واحد منها مدرسة مستقلة، كما فعل بعض الباحثين، بل تندرج كلها في مدرسة واحدة؛ لأننا لم نلمس أي فروق بينها، وإنما الاختلاف من جهة السبق، والأثر لا غير.

الهوامش:

[1] محمد سالم ولد محمد الأمين :مفهوم الحجاج عند " بيرلمان " وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، مارس 2000م، ص 92 - 93.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص220.

[3] المرجع نفسه، ص220.

[4] طبعا في حدود اطلاعنا المحدود، وعدم العلم بالشيء لا يعني عدم وجوده.

[5] ينظر: محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2005م، ص94.

[6] أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص15.

[7] رتيبة محمدة بولدواني: آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية، مجلة مقاربات، دورية محكمة تهتم بالبحث العلمي، العدد الثاني عشر، فاس، المغرب ،المجلد السادس 2013م،ص27.

[8] جاك موشلار– آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوب وآخرون، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010م، ج1، ص321.

[9] أبو بكر العزاوي: الخطاب والحوار، الأحمدية للنشر، ط1،2007م، ص09.

[10] ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ص14.

[11] ينظر: أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجاله ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الحديدة، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2006م، ص 70-71.

[12] مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص86.

[13] شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة تونس، 1998م ص353.

[14] صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2007م، ص 197.

[15] كورنيليافون راد صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف: فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادى صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، 15 أفريل، 2001م، ص 32.

[16] ينظر: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص197.

[17] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط2009،1م، ص99.

[18] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، كلية منوبة، عام 2001م،ج1، ص 38.

[19] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003م، ص 123.

[20] أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 57.

[21] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 104.

[22] عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 104-105.

[23] ينظر:سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، إربد، الأردن، ط1، عام 2008م.ج1، ص24.

[24] الحجاج في درس الفلسفة: مليكة غبار وآخرون، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د–ط، 2006م، ص53.

[25] طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000م، ص 65.

[26] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، بنان، ط1، عام 2004م، ص 451.

[27] ينظر: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص 213.

[28] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 451.

[29] ينظر: آمنة بلعلي: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي، 2006م، ص 279- 291.

[30] حمادي صمود وآخرون: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص3.

[31] عبد الله صولة : الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة " لبيرلمان وتيتكا ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 299.

[32] المرجع نفسه، ص 299.

[33] المرجع نفسه، ص 308.

[34] عبد الله صولة: الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة " لبيرلمان وتيتكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 324.

[35] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال " مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة " لبيرلمان وتيتكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 324.

[36] ينظر: علي الشبهان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010 م، ص 132 – 133.

[37] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الجزء الأول، ص 5.

[38] ينظر: صابر الحبشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، عام 2008م، ص 45، ص 51.

[39] ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، الجزء الأول، ص 11.

[17] حوار حول الحجاج: أبوبكر العزاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2010م، ص99.

[41] المرجع نفسه، ص100.

[42] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2009م، ص11.

[43] ينظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007م، ص09.

[44] المرجع نفسه، ص144.

[45] أقول ذلك تجاوزا وبحسب القطرين، وإلا فكلاهما تصدران عن مشكاة واحدة، والتصنيف الصحيح المدرسة المغاربية؛ لأنة لا اختلاف بينهما.

[46] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثامن، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ط1، عام 2008م.

[47] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم: بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي نموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، عام 2007م، ص 100.

[48] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ، من الجاهلية إلى القرن الثامن، بنيته وأساليبه، الصفحة (ب).

[49] سامية الدريدي: دراسات في الحجاج؛ قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث-إربد، الأردن، ط1، 2009م، ص أ.

[50] ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ، من الجاهلية إلى القرن الثامن، بنيته وأساليبه، الصفحة 484-485.

[51] ينظر:خليفة بوجادي : خصائص التركيب اللغوي في " بوابات النور " للشاعر الجزائري عبد القادر ابن محمد بن القاضي . دراسة في الوظيفة التداولية . بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغويات، قسنطينة،2006/2005م.ص 190.

[52] ينظر: عمر بوقمرة: الحجاج عند الجرجاني من خلال الدلائل – بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، سطيف، 2007/2006م،ص 127 ومابعدها.

[53] عمر بوقمرة: الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع- إربد- الأردن، ط1، 2017م.

[54] ينظر: عمر بوقمرة : الحجاج اللغوي في القرآن الكريم – سورة هود أنموذجا- بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، البليدة، 2013/2012م، ص 184 وما بعده.

[55] ينظر: خديجة محفوظي: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، قسنطينة،2007/2006م، ص131.

[56] ينظر: حسين بوبلوطة: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، باتنة، 2010/2009م، ص 105.

[57] ينظر:محمد سالم محمد الأمين الطلبة: مفهوم الحجاج عند " بيرلمان " وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، مارس 2000م، ص 92 – 93.

[58] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص220.

[59] عنوان الباب:" الوعي العربي بالبلاغة المعاصرة، إفادة...أم إضافة".

[60] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص206.

[61] ينظر: المرجع نفسه، ص 270 وما بعدها.

[62] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص447-452.

[63] ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011م، ص 10.